

الإيقونات: صُور المجد

ر

لإيقونة دور هام في حياة البيزنطيين الشرقيين الروحية، من كاثوليك وأرثوذكس. فالإيقونة

ليست مجرد رسم يمثل السيد المسيح أو قديسًا من أولياء الله. وليست وسيلة من وسائل الزينة الدنيوية. إنما هي تعبير عن أعمق ما في إيماننا من حقائق أساسية، واستحضار للحدث السماوي الذي يشير إليه الرسم.

الله حاضر حقًا بيننا

ال

حقيقة الأولى التي تعبر عنها الإيقونة هي أن كلمة الله تأتس فعلاً، وصار واحدًا منّا، إنسانًا كاملاً،

في شخص يسوع المسيح. لم يكن شبيهًا بنا فحسب، بل صار إنسانًا ماثلاً لنا في كل شيء ما عدا الخطيئة، كما يقول الكتاب. فالإيقونة تعلن حقيقة تأتسه كما تؤكد أيضًا كامل ألوهته. ويقول القديس يوحنا الدمشقي في هذا الصدد: "في العهد القديم كان تصوير الله محرّمًا لأنه لا يرى ولا يحده مكان. لذا، ليست الإيقونة رمزًا رمزيًا (أي أنّها لا تمثل المسيح على نحو رمزي بشكل حمل مثلاً، فذلك محرّم في التقليد البيزنطي) بل هي صورة واقعية للذي صار واحدًا منّا.

سنتحوّل كلنا

يقول

لنا القديس بولس في رسالته إلى أهل فيليبي (3: 21): "إنّ الربّ سيحوّل صورة جسدنا

الواهن إلى صورة جسده المجدد." وعليه، فالحقيقة الثانية التي تعبر عنها الإيقونة هي وإن كان رسمها واقعيًا، إلا أنّها لا تحاول أن ترسم المعلم الجسدي لطبيعتنا البشرية الساقطة، بل ترسم

الأجساد الممخّدة لأولئك الذين امتلأوا من الروح القدس. فالإيقونة تعلن على الملأ أن القداسة ممكنة. كما أنّها تحاول أن تُضفي على أجسادنا قيسًا من روح الله. لذا لا يسعى راسم الإيقونة إلى نقل الملامح الطبيعيّة على غرار صورة فوتوغرافية. لأنّ ذلك يؤدي إلى تصوير عالمنا المادي. إنّما هدفه التلميح إلى الجمال الروحي، إلى تجلّي الروح، إلى التألّه. وهذا يفسّر لماذا الأشخاص المرسومون في الإيقونة هم دائمًا ملتحفون بالثياب.

الرسم العالمي يركّز على الجسد تمجيدًا لجماله الطبيعي. أما في الإيقونة البيزنطية، فالتركيز هو عادة على الوجه والعينين بغية التفوذ من خلاهما إلى الروح. أما الألوان الطبيعيّة المستعملة في الإيقونة البيزنطية فتهدف إلى إظهار الجمال الروحي والمجد الإلهي الذي يشع من جسد المسيح.

نوافذ تُطلّ على السماء

الإ

يقونة البيزنطية لا علاقة لها باللوحات الفنية التي اعتدنا أن نزيّن بها بيوتنا ومكاتبنا ومحطّات القطار والمساحات التي نعيش فيها. هدفها هو حتّنا على الصلّاة وعلى الاتّصال بالربّ الذي تمثّله. لهذا السبب نصلي أمام الإيقونات التي تملأ كنائسنا. ولهذا السبب عينه نطوف بها ونحني خاشعين أمامها ونقبلها. فالكنيسة البيزنطية التي تزيّن الإيقونات المقدّسة جميع جدرانها، تُخرجنا من عالم المادّة و بهارج هذا العصر، لتدخلنا في حياة الدهر الآتي. وعندما يلمس المؤمن مفعول النعمة التي ينالها من الروح القدس كلّما اقترب من الأسرار الإلهية، فإنه يحيا على ضوء تلك النعمة.

عند دخولنا الكنيسة، ننحني مرتين أما الإيقونة المقدّسة

المعروضة في المدخل، راسمين كل مرّة إشارة الصليب، ثم نقبل ضوء تلك النعمة.

عند دخولنا الكنيسة، ننحني مرتين أما الإيقونة المقدّسة المعروضة في المدخل، راسمين كل مرّة إشارة الصليب، ثم نقبل الإيقونة ونحني مرة ثالثة راسمين إشارة الصليب، بعد ذلك نضيء شمعة أما الإيقونة ونذهب إلى مكاننا. وإذا كانت الإيقونة تمثّل السيد المسيح، فقد جرت العادة في كثير من الكنائس أن نقبل رجله. أمّا إذا كانت للسيدة العذراء فنقبل يدها، وإذا كانت لأحد القديسين فنقبل جبينه.

الإيقونات في المنزل

إنّ

تكرّم الإيقونات المقدّسة لا يقتصر على الكنيسة. فالله حاضر بيننا حيثما كنّا. لذا درجت العادة عند

المؤمنين الشرقيين أن يدكروا حضور الله بعرض الإيقونات في بيوتهم ومكاتبهم. ولذا يتمّ تخصيص زاوية من البيت لعرض الإيقونات وإقامة الصلّاة العائلية. وتكون هذه الزاوية عادة في الجهة الشرقية من المنزل. أما الإيقونات المعروضة فيها فغالبًا ما تمثّل السيد المسيح وأمه النقية والصلّيب المقدّس وإيقونات القديسين شفعاء أعضاء الأسرة. وكثيرًا ما يوضع في تلك الزاوية منضدة للقراءة، وطاولة صغيرة لعرض الإيقونات والصلّيب الكريم والكتاب المقدّس وبجمره للبخور. وتُضيف عائلات كثيرة إناء زيت مقدّس، وماء مقدّسًا، وقربانًا مباركًا، إلى غير ذلك من الأشياء التقوية كغصن زيتون أو نخيل من أحد الشّعائين. وعلاوة على زاوية الإيقونات، توضع إيقونة خاصة تمثّل السيدة العذراء قريبًا من المدخل في كثير من المنازل المسيحية. ويكرّم الدّاخولون والخارجون تلك الإيقونة المعروفة "بممارسة الباب"، طالبين بركتها في ذهابهم وإيابهم.

الإيقونات:

صُورُ المجد



مكتب الخدمات التربوية
لأبرشية نيوتن الملكية
<http://mekite.org/>

حقوق الطبع والنشر محفوظة لكتابة الأيقونات
مارك كزارنكي

<http://www.seraphicrestorations.com/>

"أيها

الربّ الإله، غير المحدود بطبيعته،

لقد تنازلت في آخر الأزمان

وتأنتست فظهرت لنا بشرًا محدودًا، لأنك لما

لبست جسدنا البشري، قبلته بجميع خصائصه.

لذا نرسم إيقونتك ونقبلها مفكرين بشخصك

الذي تمثله. وبذلك نرتقي إليك متبعين تقليد

الرسول الإلهي ونستقي من إيقونتك نعمة الشفاء.

فقد ظهرت نعمة الحقيقة وتحقق ما تنبأ به الأنبياء

قديمًا. وعانقت الكنيسة مثال المسيح المتأنس، أي

إيقونته المتسامية على كل جمال منظور. فكما أنّ

تابوت العهد كان يجسّم حضور الله، كذلك

الإيقونات أيضًا تُشعّ حضور الله الذي نعبده

وُجِّله. ونحن بتكرّمنا الإيقونات المقدّسة لن نضلّ

أبدًا. بل من دواعي فخرنا واعتزازنا أن نسجد

أمام المسيح المتجسّد ونعبده حقًا. فهلمّوا أيها

المؤمنون نقبل إيقونته هاتفين: اللهم خلّص

شعبك وبارك ميراثك."

(من خدمة غروب أحد الأرثوذكسيّة، أي أحد

تكرّم الإيقونات المقدّسة)

ومن المؤلف أيضًا أن نرى في غرفة الطّعام إيقونة الثّالوث
القدّوس التي تمثّل استضافة إبراهيم وسارة للملائكة الثّلاثة
(سفر التكوين 18).

أما إيقونات القديسين شفعاء أعضاء الأسرة فتوضع عادة في
غُرَف النّوم الخاصّة بكل واحد منهم.

ولما كانت الإيقونات مقدّسة، أي أنّها تشير إلى حضور القديسين

الذين تمثّلهم، فإنّنا نضيء الشموع أو قناديل الرّيت أمامها. ومما

يُذكر أن وجوه القديسين تُرسم بطريقة تعكس ضوء القنديل،

تمامًا كما أنّ الشّخص المرسوم في الإيقونة يعكس نعمة الرّوح

القدس السّاكن فيه. وكثيرًا ما نرى قنديلا متدليًا من السّقف أو

من حَمّالة مثبتة في الجدار تحت الإيقونة الرئيسيّة للإعلاء من

شأخا. ومن المؤمنين من يدع قنديلا مضاء باستمرار في زاوية

الإيقونات. بينما يقوم آخرون بإضاءة القنديل وحرق البخور في

المناسبات، كيوم الأحد أو الأعياد الكبرى، أو أثناء قيامهم

بالصّلاة أو عندما يشعرون بحاجة إلى نعمة أو حماية خاصّة.

مباركة الإيقونة

تتم

مباركة الإيقونة عادةً بوضعها على الهيكل أثناء

القدّاس الإلهي. غير أنّ هنالك أيضًا صلوات

خاصّة لمباركة بعض الإيقونات، كل واحدة حسب موضوعها

(الثّالوث القدّوس، السيّد المسيح، السيّدّة العذراء، أو أحد

القديسين) إضافةً إلى صلاة عامة تُتلى على أيّ إيقونة. فالكاهن

يتلو الصّلاة الملائمة ثمّ يتضح الإيقونة بالماء المقدّس. أمّا الأسقف

فيبارك الإيقونة بمسحها بزيت الميرون المقدّس بدلًا من نضحها

بالماء. عندئذ يتقدّم المؤمنون فردًا فردًا لتكرّم الإيقونة التي بوركت.